تلقي النقد العربي للبنيوية التكوينية : لقد تلقى النقد العربي البنيوية التكوينية التي طور منهجيتها **لوسيان غولدمان** واحتفى بها تنظيرا وتطبيقا في الخطابين الشعري والسردي .

أولا- الجهود التنظيرية : من بين الجهود التنظيرية البيوية التكوينية العربية نذكر مساهمة المبكرة لكل من جمال شحيد ومحمد ساري .

1-جمال شحيّد ناقد سوري ولعل كتابه في (البنيوية التركيبية: دراسة في منهج لوسيان غولدمان) أول تنظير عربي في (المنهج البنيوي التكويني)، فقد نشره عام 1982 وجعله في قسمين:

-عرض في القسم الأول المنهج البنيوي التكويني ومفاهيمه.

- وعرض في القسم الثاني الدراسات التطبيقية لهذا المنهج من قبل النقاد الغربيين، ثم أردفه بنصوص مختارة من غولدمان.

2-**محمد ساري** وبعد صدور كتاب جمال شحيّد بعامين أصدر الناقد الجزائري محمد ساري كتابه (البحث عن النقد الأدبي الجديد) 1984 خصصه (للنقد البنيوي التكويني) وتطبيقاته.

- فجعل الباب الأول لنظرية النقد عند لوكاش وغولدمان؛ عرض فيه (نظرية الرواية عند لوكاش) وقد أصدر لوكاش كتابه (نظرية الرواية) عام 1920. تتبع فيه نشأة وتطور الرواية حيث ظهرت (الرواية) مع نشأة المجتمع الرأسمالي، حتى ظهور (الرواية السيكولوجية)ثم (الرواية التعليمية) .

أما غولدمان ومنهجه البنيوي التكويني فقد عرضه الباحث من خلال المؤثرات اللوكاشية عليه، حيث انطلق غولدمان من هذه المبادئ لإحداث تغيير جذري في منهجية سوسيولوجيا الأدب، معترفاً بدور لوكاش المؤسس الأول لهذه المنهجية. ولكن الدراسات السابقة في هذا الميدان إذا كانت قد اكتفت بالبحث عن تطابق العالم الواقعي والتجريبي في العالم الأدبي، فإنها قد اكتفت بالبحث عن الوثائق التاريخية أكثر مما تبحث عن الأدب ووحدته. أما علم الاجتماع البنيوي التكويني فيعتمد الأمور التالية:

1 ـ بحث العلاقة الأساسية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي أي عن البنى الذهنية التي تكوّن وتنظم الوعي التجريبي لطبقة اجتماعية والعالم لتخيلي الذي أبدعه الأديب.

2 ـ البنى الذهنية هي ظواهر اجتماعية لا فردية: فتجربة الفرد الواحد قصيرة جداً ومحدودة لا يمكنها خلق هذا البناء الذهني الذي ينتج هذا النشاط المشترك لمجموعة اجتماعية.

3 ـ إن العلاقة بين البنى الذهنية والظواهر الاجتماعية هي علاقة جدلية، وإن المضامين قد تكون غير متجانسة.

وفي إطار هذه المفاهيم يمكن دراسة الأدب، لأن البنى الذهنية تعكس الواقع التجريبي إلى عالم خيالي، بما يشبه عمليات اللاشعور الفرويدية، لذلك لا تكفي دراسة النص الأدبي وحده كعنصر مستقل، ولا دراسة العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية للأديب، بل تتطلب الدراسة الأدبية توظيف المنهج البنيوي التكويني؛ إذ لا يمكن إرجاع كل شيء إلى وعي الأديب، لأن هذا الوعي ليس سوى جزء من السلوك العام للإنسان. والأديب قد يكتب أشياء لا يعيها، وقد يهرب من الضغوط الاجتماعية إلى عالم خيالي يبدعه. ومن هنا تبدو وظيفة الإبداع الأدبي في أنه يخلق توازناً يفتقده الإنسان في العالم الواقعي

في القسم التطبيقي من الكتاب حاول الباحث الإحاطة بهذا المنهج في النقد الجزائري الجديد (الإشكالية في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي). وفي القصة القصيرة الجزائرية، حيث ناقش كتاب: القصة القصيرة في عهد الاستقلال للناقد الجزائري محمد مصايف، فأخذ عليه فصله بين (الشكل) و(المضمون)، وحديثه عن القصة وكأنما هي وثيقة اجتماعية وسياسية، وإهماله العناصر الفنية للقصة، ثم ختم الباحث كتابه بفصل عن (النماذج القصصية) عرض فيه لـ: الليل ينتحر، والجراد المر، والتفكيك، والتلميذ والدرس، والشمس تشرق على الجميع، والزلزال. وفي كلها كانت معالجته تقليدية لا بنيوية تكوينية، يكتفي فيها بتلخيص مضمون القصة فقط. ولعلها مقاربات كُتبت من قبل الباحث قبل أن يهتم بالمنهج البنيوي الذي نظّر له جيداً.

ثانيا -الجهود التطبيقية :

أ- في تحليل الخطاب الشعري:

1- أصدر **طاهر لبيب** دراسته: (سوسيولوجية الغزل العربي: الشعر العذري نموذجاً) باللغة الفرنسية عام 1972، ثم عرّبه حافظ الجمالي عام 1981 ، وقد وضع الباحث كتابه هذا في سياقه الاجتماعي ، دارساً علاقة (الانعكاس) التي ترى أن الاجتماعي يؤثر في الأدبي، للبحث في شعر العذريين الذي قيل إنهم من ذوي العفّة بتأثير الإسلام عليهم. ومعتمداً في منهجه على علم الاجتماع الأدبي ولاسيما دراسات (لوسيان غولدمان)، ومستنداً إلى مبدأ بسيط جداً خلاصته أنه يجب ألا نسأل الشاعر (عن شعره)، بل نسأل شعره (عنه)، وبالتالي فإن موضوعه هو تحليل الأثر الأدبي من الداخل. وقد أفضى به هذا التحليل إلى ملاحظة (رؤية خاصة للعالم) عند جماعة العذريين.

2 - **محمد بنيس** ودراسته الهامة (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية) 1979 التي ظهرت في وقت مبكر لم تكن الدراسات النقدية ذات المناهج الجديدة، قد بدأت تتوافد علينا. وقد بيّن الباحث أسباب اهتمامه بالشعر المغربي المعاصر، وأسباب تبنّيه (المنهج البنيوي التكويني) في النقد الأدبي، استناداً إلى الوعي بالقوانين والبنيات الداخلية والخارجية للمتن الشعري المغربي، والكشف عن الربط الجدلي بينهما.

وهكذا اعتمد الباحث (المنهج البنيوي التكويني)، في دراسة الشعر المغربي المعاصر، وسوّغ تبنّيه هذا المنهج بكون القراءة في هذا المنهج، تتّم من داخل المجتمع، مادام الفكر والإبداع جزءاً من الحياة الاجتماعية، ومادام للنص الأدبي وظيفة اجتماعية، إذ هو جواب فرد ينتمي لفئة اجتماعية محدّدة تاريخياً، يهدف إلى تغيير وضعية معطاة في اتجاه يلبّي طموحاته التي تلتقي مع طموحات الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها. وبهذا تتجاوز الدراسة البنيوية التكوينية الدراسة الاجتماعية للمضمون، عندما تعتبر أن قراءة النص ينبغي أن تنطلق من النص، في محاولة للكشف عن القوانين التي تحكم بنيته: السطحية، والعميقة، لتنطلق - من ثم - في مشروع آخر هو اختراق البنية الاجتماعية والثقافية وربطها بالبنية الأدبية.

وقد تبنّى الباحث مقولات المنهج البنيوي التكويني التي ترى أن الإبداع تعبير عن تطلعات فرد منضوٍ تحت طبقة اجتماعية معينة، وأنه حين يعبّر عن الفرد يندمج في التعبير عن طموحات هذه الطبقة التي ينتمي إليها. ويصبح عمل الباحث محصوراً في الكشف عن (الرؤية) المختبئة بمهارة خلف الكلمات. وتظل مقولات المفكر البنيوي التكويني (لوسيان غولدمان) ماثلة أمام خطوات العمل، هادية يسترشد بها الباحث.

وقد جعل الباحث دراسته في ثلاثة أبواب:
- درس في الباب الأول (المتن الشعري المعاصر في المغرب).
- ودرس في الباب الثاني (مشروع اختراق البنية الثقافية) للنص.
- ودرس في الباب الثالث (المجال الاجتماعي والتاريخي للنص).

وانتهى إلى أن ظاهرة الشعر المغربي المعاصر هي تجسيد لوعي تاريخي محايث لوعي طبقي: وعي تاريخي لأنها تمثل الوعي الأكثر تقدماً في المرحلة التاريخية التي وجدت فيها، ووعي طبقي لأنها تطرح مشاكل وحلول طبقة اجتماعية محددة تاريخياً.

ب - في تحليل الخطاب السردي:

في تحليل الخطاب السردي (على ضوء المنهج البنيوي التكويني) وجدنا أن طلائع الحديث في هذا الباب بدأت مع عبد الكبير الخطيبي الذي أصدر كتابه (الرواية المغربية) عام 1971. وبعد عشر سنوات أصدر الناقد سعيد علوش كتابه (الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي) عام 1981. واتبعنا أيضاً التسلسل التاريخي في العرض والنقد، فأصدر قاسم المقداد كتابه (هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي) عام 1984، نجيب العوفي في كتابه (درجة الوعي في الكتابة) عام 1980 ثم في كتابه الثاني (مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية) عام 1987، يُمنى العيد التي أصدرت كتابها (في معرفة النص) عام 1983 فكتبها التالية، حميد الحمداني الذي أصدر كتابه الأول (الرواية المغربية) عام 1985 ثم كتبه التالية، محمد نديم خشفة الذي أصدر كتابه (جدلية الإبداع الأدبي) عام 1990.